

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد الثالث
مجلة إسلامية . ثقافية . تصدر سنوياً
1986

● صَدَى الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

● مَخْطُوطَاتُ لَيْبِيَّةِ

● وَصُولُ الْإِسْلَامِ إِلَى سَاحِلِ مَلِيبَار

● التَّيَّارَاتُ الْفَلَسَفِيَّةُ وَعَلَاقَتُهَا بِالْصِّرَاعِ عَلَى الْحُكْمِ

الإسلامُ والمُسلمون في كندا

إبراهيم علي الربو

تقديم

تعتبر كندا أكبر دول العالم مساحة بعد الاتحاد السوفييتي حيث تبلغ مساحتها 9.965.176 كيلو متراً مربعاً⁽¹⁾ ، وهي عضو في مجموعة الأمم البريطانية « الكمنولث » . وكندا من الدول الغنية بمواردها الطبيعية من الأخشاب والبتروول والنحاس والذهب واليورانيوم ، ونتيجة لضخامة تلك الموارد وتراخي اطراف البلاد الكندية فإن الجزء الأكبر منها لم يستغل بعد . وتعتبر كندا بلداً خالياً من السكان إذا ما قورنت مساحتها بعدد السكان الذي يصل إلى ما يقارب خمسة وعشرين مليوناً جلهم من دول أوروبا الغربية وخاصة فرنسا وبريطانيا وهولندا والمانيا وأيرلندا .



(1) انظر المؤ. رعة العربية المبصرة مادة « كندا » ط 5 ص 1483 .

وكندا مقسمة من الناحية الجغرافية إلى عشر مقاطعات واقليمين ولكل مقاطعة عاصمتها وحكومتها الخاصة . . وأهم مدنها « أتوا Attwa » وهي العاصمة الاتحادية ومقر الحكومة الفدرالية .

ومونتريال Montreal وتورنتو Toronto وكويبك Quebec وهي من أضخم المدن التجارية الكندية وفانكوفر Vancouver التي تمثل بوابة كندا الغربية وهي مركز وميناء تجاري هام على المحيط الهادي . ومدينة هاملتون Hamilton وهي مركز صناعات الحديد والصلب . وادمنتون Edmonton وهي مدينة الصناعات البترولية وبها أقدم جالية عربية إسلامية وعلى ترابها أسس المسجد الأول في كندا سنة 1938 كما سنرى .

وتنتشر بين سكان كندا اليوم جميع الديانات المعروفة في العالم وإن كانت المسيحية تستأثر بالغالبية منهم ، وتعتبر اللغة الانجليزية هي لغة التعامل الأولى في كندا عدا مقاطعة « كويبك Quebec » التي تعتمد الفرنسية لغة للتعامل .

المسلمون

يقول الأستاذ داود حسن حمداني في كتابه⁽²⁾ . الذي لا يزال مخطوطا « المسلمون في كندا » أن سنة 1854 شهدت ميلاد أول مسلم ، في كندا لأبوين مسلمين هاجرا من اسكتلندا واختارا مقاطعة « أونتاريو Ontario » موطنهما وكانا يشكلان مع بضعة عائلات⁽³⁾ أخرى متشرة في تلك المقاطعة آنذاك كل الجالية الاسلامية التي وصل عدد افرادها سنة 1871 طبقا للاحصاءات الكندية الرسمية ثلاثة عشر شخصا^(*) . وتغرب شمس القرن التاسع عشر تاركة وراءها 375 مسلما على الساحة الكندية جلهم من العرب والأتراك واليوغسلاف والألبان .

ورغم الفتور الذي شهدته الهجرة إلى البلاد الكندية خلال العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن إلا أن اندلاع الحرب الكونية الثانية متزامنة مع سياسة الحكومات الكندية آنذاك بتشجيع الهجرة الخارجية لاستعمار الأراضي الشاسعة

Muslims in Canada (2)

Muslims in Canada Islamic Monograph Series 1401 - 3 March 1982 (3)

Census of Canada part 7 p. 127 Atiwa 1964 (*)

ودعم الاقتصاد الكندي، جعل عدد المهاجرين المسلمين إلى كندا سنة 1951 يقفز إلى ثلاثة آلاف مهاجر من اقطار اسلامية واقطار تقطنها أقليات اسلامية .

واستمر تدفق مئات المهاجرين المسلمين إلى كندا خلال العقدين الخامس والسادس من هذا القرن من عدة دول وخاصة من باكستان ، الهند ، ماليزيا ، يوغسلافيا ، تركيا ، ايران ومن دول عربية ، أما السبعينات فقد شهدت على وجه الخصوص تدفق عدة آلاف من العرب اللبنانيين والفلسطينيين وذلك عقب اندلاع الحرب الأهلية في لبنان والاحتياح الاسرائيلي الامريكي لها .

واليوم ينتشر المسلمون في طول البلاد وعرضها من « هاليفاكس Halifax » شرقاً إلى « فيكتوريا Victoria » على ضفاف الهادي ومن تجمعات الاسكيمو في الشمال حتى الحدود الامريكية جنوباً ويصل تعدادهم التقديري إلى ما يربو على 135 ألفاً يمثل العرب حوالي 21٪ ويمثل مسلمو شبه القارة الهندية ما يقارب 27٪ في الوقت الذي يمثل فيه مسلمو تركيا ، يوغسلافيا ، البانيا نسبة 16٪ ويشكل المسلمون المهاجرون من جنوب شرق آسيا « اندونيسيا وماليزيا ، الفلبين ، فيجي ، تايلاند » حوالي 12٪ ويشكل النسبة المتبقية مسلمون من اقطار مختلفة .

ويتركز الوجود الاسلامي اليوم في الجانب الشرقي للبلاد وخاصة في مقاطعتي « أونتااريو Ontario » و« كويبك Quebec » حيث يقطنهما ما يربو على 50٪ من المسلمين ويشتملان على 60٪ من المؤسسات الاسلامية في كندا⁽⁴⁾ .

وينتظم المسلمون في جمعيات محلية شُكِّلت في أغلب المدن والقرى الكندية حيث تختار كل جمعية عدداً من بين اعضائها للإشراف على البرامج الدينية والتربوية الاجتماعية للجمعية ، وفي سنة 1972 أسس « مجلس الجماعات الاسلامية بكندا » « C. M. C. C. » وهو مجلس تستظل بمظلته غالبية الجمعيات الاسلامية ويهدف إلى توحيد جهود المسلمين في المجالات الدينية والتربوية وتقديم المساعدات للجمعيات الاسلامية وتنظيم المؤتمرات واللقاءات بقصد توضيح صورة الاسلام للمواطن الكندي .

The Muslim comunitis of north America edited by H. Waugh - B. abu laban And R. (4) Qureshi, the University of Alberta press 1983 page (78).

حضر المسلمون وغاب الاسلام

إن هذا الوجود المبكر للمسلمين في كندا والذي سبق حتى قيام الدولة الكندية الموحدة بالشكل المعروف اليوم لم يقتزن - وللأسف - بنشاط يذكر في مجال الدعوة الإسلامية يعرف تعريفاً صحيحاً بالاسلام ومعتقداته فبقي في نظر غالبية السكان الاصليين والكثير من المهاجرين أشبه بأساطير وخرافات ، وظل المسلم في نظرهم شخصاً ذا معتقدات غريبة أشبه بمعتقدات قاطني الادغال الافريقية ، ومرد ذلك إلى ما يلي :

● إن المستوى الثقافي للمهاجرين الأول كان في حكم المعدوم حيث أن ما يقارب من 89٪ منهم كانوا من الأميين أو من الذين لهم إلمام بسيط جداً بالقراءة والكتابة بلغاتهم الأصلية فكانوا غير قادرين على التعريف بالاسلام تعريفاً سليماً .

● إن غالبية المهاجرين تركوا ديارهم بنية العودة إليها بعد أن يصيبوا من المال قدرًا يمكنهم من الحياة في رخاء في بلدانهم ويؤمن حياتهم ، وكنيجة لذلك سيطرت الناحية المادية على حياتهم اليومية سيطرة لم تترك مجالاً ولا وقتاً لغيرها .

● إن بعض المهاجرين المسلمين الذين شدوا الرحال إلى كندا رغبة في الكسب أو هرباً من شبح الحرب الذي يخيم على بلدانهم خالجهم شعور بأن التصريح بدينهم أو الدعوة له ربما يقلل فرص العمل أمامهم أو يحول بينهم وبين وظائف يودون الحصول عليها فكان أن أخفى بعضهم اسلامه ولم يجهر بالدعوة له . واقدم الكثيرون على استبدال اسمائهم بأخرى غريبة خشية أن تعرف انتماءاتهم الدينية من خلالها .

● إن ترامي اطراف البلاد الكندية وظروفها الطبيعية القاسية - في وقت لم يصل فيه التقدم التكنولوجي إلى ما هو عليه اليوم - جعل التنقل بين مقاطعتها أمراً شاقاً حال - إلى حد ما - دون اتصال المسلمين المهاجرين بعضهم ببعض اتصالاً إيجابياً يسفر عن تكوين جمعيات اسلامية تجمع شتاتهم ، وتنظم جهودهم وتوجهها لخدمة الدعوة الاسلامية .

● انعدام المؤسسات الاسلامية دينية كانت أو تربوية أو اجتماعية وهي المؤسسات التي لا بد من وجودها لخلق إنسان واعٍ مثقف قادر على القيام بدور يذكر في مجال التعريف بالاسلام .

ونتيجة لهذه الظروف مجتمعة ظل تأثير المسلمين في السكان الاصليين وكثير من

المهاجرين ضئيلاً ، وظلت معتقدات الاسلام غامضة حتى عند بعض مثقفهم فهذا محرر بصحيفة شهيرة⁽⁵⁾ في غرب كندا يكتب مقالاً بمناسبة إقامة أول مسجد في كندا سنة 1938 فيسمى المسلمين « بالمحمديين » ويطلق على المسجد « الكنيسة المحمدية » ويعرف عيد الفطر بـ « الكريسمس السوري » نسبة إلى المهاجرين المسلمين في تلك المدينة واغلبهم من سوريا ولبنان . إلى غير ذلك من المغالطات حول الاسلام ومبادئه حتى عند من يعد مثقفاً مثل هذا المحرر .

المسجد الأول

في مايو 1938 تحصلت « الجمعية العربية الإسلامية Arabian muslim Association » على ترخيص من بلدية « ادمنتون Edmonton » بمقاطعة « ألبرتا Alberta » بشأن بناء مسجد يمارس فيه المسلمون شعائرهم الدينية والاجتماعية ولم تمض شهور ستة على الحصول على الترخيص حتى كان أول مسجد في كندا وثالث مسجد في شمال امريكا حقيقة واقعة ، وافتتح المسجد رسمياً يوم الأحد 12 ديسمبر 1938 بحضور العلامة عبدالله يوسف علي صاحب الترجمة الشهيرة لمعاني القرآن الكريم ، كما حضر حفل الافتتاح عدد من المسؤولين في المقاطعة ومندوبون عن الجاليات الاسلامية في المدن القريبة .

وهز خبر افتتاح المسجد الأول في كندا قلوب المسلمين وأوقد شعلة الحماس عند جمعيات إسلامية مختلفة لتأسيس مساجد أخرى . واليوم وبعد ما يقارب نصف قرن على تشييد المسجد الأول لا تخلو مدينة كبيرة في كندا من مسجد أو مركز اسلامي حيث ينتشر قرابة الأربعين مسجداً ومركزاً اسلامياً على التراب الكندي، ويعتبر المركز الاسلامي الكندي بمدينة ادمنتون Edmonton احدها وأكبرها وهو المركز الذي شيد بدعم كبير من جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، ويعمل المسلمون جاهدين في كثير من المدن والقرى الكندية لإقامة مساجد جديدة بمجهودات ذاتية وبمساعادات من بعض الدول والمنظمات والجمعيات الاسلامية ولا غرو في ذلك فالمسجد - في دول يمثل فيها المسلمون أقلية - هو المؤسسة الدينية والتربوية والاجتماعية التي يمارس المسلمون نشاطاتهم من خلالها .

(5) «Edmonton Journal» Monday oct. 9th 1938 page 5.

(6) Muslims in Canada.

حركة الدعوة

سبق أن قلنا إن الدعوة الإسلامية كانت في حكم المدعومة خلال العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن نتيجة لجملة اسباب اوضحناها آنفاً غير أن قطار الدعوة بدأ تحركه في أوائل الثلاثينات بعد ظهور بعض الجمعيات الاسلامية في بعض المدن الكندية ولكنه كان تحركاً بطيئاً وعشوائياً مدفوعاً بجهود فردية مشتتة وسط مسالك مليئة بالعوائق والعقبات وذلك لانعدام الاساسات الضرورية التي تكفل نجاح عملية الدعوة . فلم يكن هناك الداعية المعد اعداداً جيداً ومناسباً للعمل في هذا الميدان ، وحتى الذين وجد عندهم الصديق والحماس للمشاركة في حمل لواء الدعوة كانوا في الغالب يفتقرون إلى الحصيلة العلمية المناسبة التي تؤهلهم لخوض غمار ذلك الميدان في ثبات .

غير أننا في ذات الوقت لا بد أن نعترف بأن كثيراً من المهاجرين الأول - رغم ضحالة ثقافتهم ورغم الظروف الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية بالغة الصعوبة التي احاطت بوجودهم هناك - قد بذلوا قصارى جهدهم في سبيل ابلاغ رسالة الاسلام في وقت لم تكن هناك جمعيات أو مؤسسات أو دول اسلامية تقف وراءهم وتدعمهم مادياً ومعنوياً ، ويمكننا القول بأن إقامة أول مؤسسة اسلامية في كندا متمثلة في مسجد الرشيد يمثل خطوة هامة على طريق برجة وتنظيم الدعوة إلى دين الله ، وجلي للعيان أن حركة الدعوة الإسلامية خطت خطوات راسخة بعد تلك الخطوة بفضل ازدياد اعداد المثقفين في أوساط المهاجرين ، وتوافد مئات الطلاب من الدول الإسلامية للدراسة بالجامعات الكندية ، والزيارات التي قام بها الكثير من العلماء المسلمين لإلقاء بعض المحاضرات والندوات والمشاركة في عشرات المؤتمرات الاسلامية التي تنظمها وتشرف عليها الجمعيات الاسلامية في مختلف المقاطعات الكندية . ولا يمكننا - ونحن بصدد الحديث عن الدعوة - تجاهل الدور الذي تضطلع به بعض الجمعيات الاسلامية مثل جمعية الدعوة الاسلامية العالمية في إثراء حركة الدعوة الإسلامية من خلال اعداد المطبوعات المختلفة التي تتناول بعض القضايا الاسلامية بالشرح والتحليل ، وبإيفاد عشرات الدعاة والائمة والمدرسين لتعليم أبناء المهاجرين ، وبالمساعدات التي تقدمها لتشيد المساجد والمراكز والمدارس الاسلامية ، ووضع برامج تربوية ودينية لها . . .

ورغم تلك الخطوات التي حققتها الدعوة والتي اسفرت عن اعتناق العشرات

للإسلام عن قناعة ، وتفهم الآلاف من المثقفين لرسائله الخالدة إلا أن أسلوب الدعوة في مجمله لا زال أسلوباً كلاسيكياً يفتقد إلى البرمجة العلمية الواعية وإلى التخطيط المنظم ، وإلى خلق الداعية المتفهم لنفسية الإنسان الكندي ، الملم بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية لذلك الإنسان .

إن الداعية أو العامل في حقل الدعوة الإسلامية هو عصب عملية الدعوة وهو الركن الاساسي فيها ، وعليه فإن نجاحها من عدمه يعتمد بالدرجة الأولى على حيوية ذلك العصب ونشاطه ، وصلابة ذلك الركن وسلامة أساسه .

ومن هذا المنطلق فإن حركة الدعوة على الساحة الكندية لا زالت بحاجة ماسة إلى خلق الداعية الواعي والمثقف الذي يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل الناس بالتّي هي أحسن ، الداعية الذي يدعو الناس بعمله قبل أن يدعوهم بلسانه ، ويجذبهم بسلوكه الاسلامي قبل عبقريته الخطابية ، الداعية الذي يتحلى بالأخلاق الحميدة والسيرة الحسنة والروح الاسلامية الصافية التي تجعل الناس يثقون فيه ويحترمونه ويرون فيه القدوة والمثال . الداعية الذي يخاطب الناس على قدر عقولهم ، وحسب ثقافتهم وبيئاتهم وظروفهم الاجتماعية ، القادر على توصيل حقائق الاسلام دون تعقيد وتزمت وجري وراء الاختلافات المذهبية .

داء الحزبية والمذهبية

إن الجالية الاسلامية في كندا تمثل الأمة الاسلامية في تركيبها الاجتماعية ، ولا غرابة بعد ذلك إذا قلنا أنها تمثل كل ايجابيات تلك الأمة وسلبياتها ، فليس من العسير أن تدرك مدى اعتماد تلك الجالية على نفسها في بناء مؤسساتها الدينية والتربوية والاجتماعية والحرص على تعليم ابنائها مبادئ ديننا الحنيف ولغتنا العربية وحماس غالبية قياداتها لنشر رسالة الاسلام . وليس من العسير في ذات الوقت أن تلاحظ أثر المذهبية والحزبية الدينية والسياسية في تفتيت وحدة تلك الجالية والحيلولة دون وحدة كلمتها حتى في ابسط أمورها ، حيث تساهم الاحزاب السياسية ذات الغطاء الديني في توسيع الهوة بين المسلمين بتناولها للقضايا الاسلامية من خلال منظارها ورؤيتها وتطلعاتها السياسية ورمي مخالفها بشتى النعوت والصفات ومن جهة اخرى هناك المذهبيون المتزمتون الذي يجدرون الاختلافات المذهبية الفقهية وليس لهم من زاد في ذلك سوى كتب مليئة بالخرافات والاسرائيليات ألف غالبها في فترة الانحطاط للإسلام والمسلمون في كندا

الثقافي للأمة الإسلامية وفي فترة الصراعات الحزبية السياسية على السلطة ، وكثيراً ما تضع بساطة الإسلام ومنطقية تعاليمه بين افكار الحزبيين المريضة وتمحلات المذهبيين العقيمة ، والإسلام ببساطته وعالميته ومنطقيته بريء من كليهما براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

وكنتيجة لتلك الانقسامات المذهبية والحزبية أصبح مألوفاً في كندا - كما هي الحال في اغلب الجاليات الإسلامية في المهجر - أن تجد مساجد للشيعة وأخرى للسنة أو مساجد للعرب وأخرى للباكستانيين وثالثة لليوغسلاف أو الأتراك . وقد تذهب الحلقة في ضيقها إلى أكثر من ذلك بكثير .

وفي ظلام هذه الانقسامات المذهبية التي ما أنزل الله بها من سلطان والتي تمزق وحدة الجاليات الإسلامية في المهجر تماماً كما تعصف بوحدة الأمة الإسلامية داخل حدودها لا يمكن أن نتجاهل جهود بعض القيادات الإسلامية المثقفة الواعية المدركة لخطورة تلك الانقسامات الرامية إلى نبذ المذهبية والحزبية بجميع اشكالها وشتى صورها ، وعملها الدؤوب من أجل تذكير جماهير المسلمين إلى ما ورد في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من تحذير للأمة الإسلامية من مغبة التفرق والتشرذم والتشيع حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ أن اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ﴾⁽⁷⁾ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾⁽⁸⁾ .

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾⁽⁹⁾ .

﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾⁽¹⁰⁾ .

(7) الشورى 13 .

(8) آل عمران 103 .

(9) آل عمران 105 .

(10) الأنعام 159 .

المؤسسات التربوية

سبق أن قلنا إنه من إيجابيات الجالية الاسلامية في كندا هو حرصها الشديد على تعليم الجيل الجديد من ابنائها مبادئ الدين الاسلامي الحنيف واللغة العربية ، حيث تنتظم فصول دراسة لذلك الغرض يومي السبت والأحد في اغلب المساجد ، وتقوم بعض الجاليات في مدن مختلفة بتأجير فصول دراسية لاستخدامها في عطلة نهاية الاسبوع أو في الفترة المسائية خلال أيام الاسبوع . ورغم الجهود التي تبذل في سبيل ارساء دعائم ثابتة لتعليم ابناء المهاجرين إلا أن مردودها لا زال دون المستوى المطلوب لاسباب يمكن حصر اهمها فيما يلي : -

1 - إن بضع ساعات في الاسبوع غير كافية على الاطلاق لإعطاء الطالب قدراً ذا شأن من المعلومات يساهم في بناء شخصيته المتميزة دينيا وحضاريا . ولن يكون حصاد الطالب من تلك الساعات في آخر العام اكثر من مجموعة من الكلمات العربية المفككة وعدد من قصار السور يرددها لفظيا دون أي ادراك لمعانيها .

2 - عدم وجود المدرسين الأكفاء المؤهلين تربويا، جعل عملية التدريس تقتصر في غالبيتها على عناصر تنقصها الخبرة وتفتقر إلى التأهيل العلمي مما جعلها غير قادرة على توصيل المعلومات إلى التلاميذ والتفاعل معهم تفاعلا ايجابياً يخدم العملية التعليمية .

3 - انعدام المناهج الدراسية التي تتمشى مع تلك البيئة وتتناول بالمناقشة والتحليل قضايا الانسان المسلم الذي يعيش فيها ، وتعمل على تحصينه من الامراض الاجتماعية المتفشية في ذلك المجتمع ، وتساهم في بناء شخصيته الإسلامية . حيث إن المناهج المستعملة اليوم في غالبية مدارس الجالية الاسلامية هناك هي إما خلاصة جهود فردية محدودة أو اقتباسات من المناهج المعتمدة في بعض الدول العربية .

4 - إن الناحية المادية المسيطرة على كل جوانب الحياة حالت دون المشاركة الايجابية من جانب الاسرة في بناء شخصية الطفل الاسلامية، فبين قصور أولياء الأمور وتقصيرهم وانشغالهم بالسير الحثيث خلف بريق الدولارات يقع الابناء فريسة سهلة للثقافة الغربية بأمراضها الاجتماعية المزمنة ، ويتشربون عادات وتقاليد ليست من دينهم وحضارتهم في شيء .

إن مسئولية كبيرة وخطيرة تقع اليوم على الآباء والامهات وعلى قيادات الجالية

الإسلامية في كندا ومثقفيتها وعلى كل الغيورين على الاسلام والعروبة، وهي العمل بكل الامكانيات لتنشئة جيل اليوم تنشئة اسلامية ، والحيلولة بشتى السبل دون ذوبانه في الحضارة المادية الزائفة وانغماسه في انماط الحياة الغربية المريضة وذلك بإقامة مؤسسات تربوية اسلامية خاصة تحفظ لأبناء المسلمين كيانهم وشخصيتهم وتخلق من بينهم قادة الغد ورجال الدعوة إلى دين الله في تلك الديار .

إن المساجد المكيفة والمراكز الاسلامية الضخمة المزودة بكل الامكانيات والمراتب الاقتصادية والسياسية والعلمية التي يحتلها غير قليل من المسلمين هناك لا قيمة لها على الاطلاق إذا لم تؤد مجتمعة إلى تنشئة جيل اليوم تنشئة اسلامية قوية تجعله يعتز بدينه وتراثه وحضارته ، وتجعله في ذات الوقت قادراً على المشاركة الفاعلة في قضايا أمته العربية والاسلامية محارباً لكل ما يخلخل وحدتها من مذهبية مقبنة وحزبية عفا عليها الزمن .

